شرح

الأصول الثلاثة

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

حفظه الله تعالى

اعتنى به طالب في البناء العلمي

الرقم الأكاديمي ٢١٠٧

النسخة الإلكترونية الأولى

أخي طالب العلم إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة

attafreegh@gmail.com

اسم المقرر: الأصول الثلاثة رمز المقرر: ١٠١

الفصل الدراسي الأول

١٤٣٦-١٤٣٧

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، علىٰ عبدك ورسولك محمدٍ، وعلىٰ آله وصحابته أجمعين، وعلىٰ من تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

وبعد؛ أيها الإخوة المشاهدون، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أولًا أحب أن أُنوه عن أهمية العلم وفضله، وأن العلم من أشرف الأمور وأعظمها شأنًا، قال الله -جلَّ وعلَا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١].

واستشهد من العلم علىٰ أعظم مشهودٍ عليه، هو توحيده وإخلاص الدين له؛ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[آل عمران].

وأخبر -جلَّ وعلَا- أن العلماء متميِّزون عن غيرهم، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وأخبر تعالىٰ أن العلم سبب خشية الله والخوف منه﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وبيَّن ﷺ أن من سلك طريقًا للعلم، فقال: «ومن سلك طريقًا يلتمس به علمًا إلَّا سهل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة».

أيها الإخوة، ومن توفيق الله وجود هٰذه القنوات التي ينتشر نورها في أرجاء المعمورة؛ فحريٌّ بالمسلمين استغلال هذه القنوات، وهذه المواقع، وتحويلها من سيِّئ إلىٰ أحسن، ومن شرٍ إلىٰ خيرٍ، والسعي في ذلك بالجدال بالحكمة والموعظة الحسنة، وإبانة الحق، والصبر علىٰ ذلك.

لأن حلقات العلم في المساجد، يسمعها الحاضرون، وفي الكليات والجامعات يسمعها الطلاب مع معلميهم، ولكن هذه الأكاديمية الإسلامية المفتوحة، وهٰذا البناء العلمي يصل إلىٰ مسامع كثيرٍ من المسلمين في داخل الجزيرة وخارجها، وربّما وصل صوتها إلىٰ أوروبا وأمريكا وإلىٰ غير ذلك، فلابد من العناية بهذا البناء، ولابد من تشييده علىٰ أصولٍ ثابتةٍ، ولابد من التعاون والتكاتف، عسىٰ أن نوفَّق إن شاء الله لأداء رسالتنا، فإن الله -جلَّ وعلَا- يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب].

فالمسلمون مأمورون بأن يبلغوا دين الله، وينشروه لمن بعدهم؛ لتأخذه الأجيال جيلًا بعد جيلٍ، فمحمدٌ ﷺ بثَّ العلم الشرعي، وعلَّم الناس العلم الشرعي، وتناقله أصحابه بعده، طبقةً بعد طبقةٍ، الصَّحابة والتابعون ومن بعدهم، أجيالٌ بعد أجيالٍ، وهٰذا الدين لا يزال محفوظًا بحفظ الله له، يقول ﷺ: «ولا تزال

طائفةٌ من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله».

ونحن في هٰذا الدرس نتكلم علىٰ نُبذٍ قصيرة الألفاظ، عظيمة المعاني، واضحة الأسلوب، وهي «الأصول الثلاثة» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

ألَّف هٰذه الرسالة في مجموعة رسائله: «كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد»، و«كشف الشبهات»، و«الأصول الثلاثة»، و«القواعد الأربع»... ، وغير ذلك من المسائل والأجوبة العظيمة التي حوتها «الدرر السنية» في بيان مكاتباته رَحِمَهُ اللَّهُ لعلماء زمانه، وتوضيح ما يدعو إليه، وأنه إنما دعا إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سنة رسول الله ﷺ.

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ولد في العام الخامس عشر بعد المائة والألف(١١١٥)، وتوفي سنة ست ومائتين (١٢٠٦)، وعرض هٰذه الدعوة علىٰ أهل عصره وزمانه، فما وجد هناك من يدافع عنها، حتىٰ منَّ الله بمحمد بن سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي تقبّل هٰذه الدعوة، ونصرها، وأيدها، وهو من أعظم أنصارها والذَّابِّين عنها، فتعاون الإمامان محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن سعود علىٰ الدعوة إلىٰ الله، وتبصير عباد الله، فصارت بهذا التعاون سببًا مباركًا في توعية الأمة، وإخراجها من ظلمات الجهل إلىٰ نور الهدىٰ.

أيها الإخوة، الدّعاة إلىٰ الله كثيرون، وما خلا قرنٌ من قرون الأمة، إلا والدعاة إلىٰ الله يكافحون وينشرون، ويدعون إلىٰ الله، والله -جلَّ وعلَا- يهيّئ لهٰذه الأمة علىٰ رأس كل قرنٍ مَن يجدد أمر دينها، ويهديها إلىٰ الطريق المستقيم، إذا عظم الجهل، وقلَّ العلم، هيّأ الله من علماء الأمة، من يدافع عن هذا الدين، ويقوم بالواجب، ومن تأمل التاريخ، وجد علماء الأمة في كل القرون دعاةً مصلحين، وعلماء مجتهدين، يدعون إلىٰ الله، ويحببون العباد إلىٰ الله، ويحذّرون الناس من الشرك بالله والكفر به، ويرشدون إلىٰ الطريق المستقيم.

ومن هؤلاء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد سلك مسلك من قبله من العلماء، وسار علىٰ نهجهم، وأصبحت رسائله ومؤلفاته كلّها مبنية علىٰ نصٍّ من القرآن، أو أثرٍ من آثار رسول الله ﷺ، وما عليه إجماع الأمة وأئمتها، فرسائله واضحة المعاني، ولا يطعن فيها إلا جاهلٌ بها، أو مغرضٌ صدّ عن الطريق المستقيم، وإلا فالحق واضحٌ، ولله الحمد والمنة، وقد نفع الله بدعوته فعمت الجزيرة العربية وما جاورها، وانتفع بها كثيرٌ من الناس، ومن وقف علىٰ كتبه ورسائله وقرأها بالتأمل عرف أنّها حقٌّ، وأنّها هدًىٰ، فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا ورحم الله محمد بن سعود، وغفر الله له، وجزاه عما قدم للإسلام والمسلمين خيرًا.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَىٰ: العِلْمُ؛ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ ومَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ومَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبرُ علَىٰ الأَذَىٰ فِيه.

والدَّليلُ قَولُه تَعَالَىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

قالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: « لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً علَىٰ خَلْقِه إِلَّا هٰذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وقَالَ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالَىٰ: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّد:١٩]؛ فَبَدَأَ بِالعِلْمِ» قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ابتداءً لهٰذه الرّسالة الصغيرة المفيدة النافعة: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ)، تفهم، واستعد وانتبه لما سأقول لك، (اعْلَمْ)؛ لأن من علم استفاد، من لم يعلم لم يستفد، (اعْلَمْ) أنا سأوجه لك رسالةً عظيمةً نافعةً مفيدةً، اعلمها علم حقٍ وصدقٍ ويقينٍ، (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ)، أنه يجب علىٰ جميع المسلمين أن يتعلموا هذه الأربع مسائل؛ فإن العلم قسمان:

علمٌ واجبٌ، وهو ما يقوي الصلة بربك، وتؤدي به ما أوجب الله عليك، من إخلاص الدين له، من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك، ويبين الأمور التي لا يسع المسلم جهلها؛ بل لابد من تعلمها.

وعلمٌ مستحب، وهو تعلم فروع المسائل المتعددة.

لكن الأمر الذي لا تُعذر عنه، ولا يسعك جهله، هو أن تعلم هذه الأربعة المهمة في دين الله، أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

(**الأُولَىٰ**: العِلْمُ)، ما هو العلم؟ العلم حقًّا ما دل الكتاب والسنة عليه، علم الشريعة؛ علم كيف يعبد العبد ربه، وصلته بنبيه، وصلته بدينه، علمٌ نافعٌ ينقلك وينجيك من الضلال.

قال الله جلَّ وعلا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]، وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾[الرعد].

إذن فالعلم لابد منه، أنه يجب أن تعلم هذه الأربع مسائل، نتعلمها فإذا علمناها حقيقة، وطبّقناها على أنفسنا، كنا بهذا عالمين حقًّا.

ثم العمل بهن، يجب تعلمها، ويجب العمل بها؛ لأن العلم لا ينفع إلا بالعمل، وأي علم خالٍ من العمل، فإن هذا العلم لا ينفع.

العلم إنما وجد ليُعمل به، ومن لم يعمل بعلمه كان ضالًّا ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[البقرة]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

(العِلْمُ؛ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ ومَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ومَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالْأَدِلَّةِ)، العلم الشرعي واجبٌ، أن تعرف الله -جلَّ وعلا-، أنه ربّك، وخالقك، ورازقك، وبيده حياتك وموتك ورزقك، وبيده حياتك وموتك ورزقك، وأنه خالق الأشياء كلها، لا رب غيره، ولا خالق سواه؛ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة]، فهو ربُّنا وخالقنا ورازقنا نؤمن به ربًّا، ومعبودًا وخالقًا ورازقًا.. ونعرف الله بأسمائه وصفاته، وأن له أسماءً حسنىٰ، وصفاتٍ عُلا، على ما يليق بجلاله، نؤمن بها، ونُمرّها كما جاءت، معتقدين حقيقة مدلولها علىٰ الكتاب والسنة، لا نكيِّف ولا نشبِّه؛ بل نمرها علىٰ ظاهرها، معتقدين حقيقة معانيها، علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر] إلىٰ آخر الآيات.

و(مَعْرِفَةُ اللهِ)، من عرف الله وحَّده، عرف أنه يسمع ويرىٰ، ويعلم، وأنه الحليم الكريم، الجواد الرحيم، عرف الله حقًّا، فإذا عرف الله ازداد إيمانًا، فالإيمان الحق ما وقر في القلب وصدّقه العمل.

(ومَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ) ﷺ، تعرف نبيك محمد بن عبد الله، الهاشمي القرشي، الذي ختم الله به الرسالات كلها، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ﴾[الأحزاب:٤٠].

تعرف نبيك بأنه النبي العربي، آخر الأنبياء وأفضلهم -صلوات الله وسلامه عليه- يقول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

(ومَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالْأَدِلَّةِ) أن تعرف دين الإسلام بأدلته الشرعية، بالعبادات، والمعاملات،

وجميع ذلك، تعرف دين الإسلام بالأدلة الشرعية، والأركان الخمسة؛ شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمـدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، وأن هٰذا الـدين ديـنٌ صـالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ؛ لأن الله أكمله وأتم بـه النعمـة، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهٰذا الدين نعرفه، فإذا عرفنـا كمالـه وشـموله وصـلاحيّته، طبقنـاه علـىٰ أرض الواقـع، وعلمنا حقًّا أنه لا نعيش إلا بهذا الدين، وأن الخروج عن الدين كفرٌ وضلالٌ، فلابد أن نعرف هذا الـدين﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمـــران: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، فدين الإسلام هو الدين الحق، الكامل، كما أن أمة محمّدٍ هي خير الأمـم وأشـرفها، نحـن الآخرون السابقون يوم القيامة، فنعرف دين الإسلام، وأنه هو دين الهدىٰ، وأن الله نسخ بـه جميـع الشـرائع، فيجب طاعة النبي واتباعه ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

(الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.)، فنعمل بهذا العلم؛ لأن هذه الثمرة أن نعمل به، وقد ذم الله من لم يعمل به فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥].

فالعمل بهذا العمل واجبٌ، أن نعمل بما علمنا؛ لأننا إذا علمنـا ولـم نعمـل كنـا ضـالين، أشـباه اليهـود، فالذين علموا وكتموا العلم، وإذا لم نتعلم كنا كالنصارىٰ يعبدون الله علىٰ جهـلٍ وضـلالٍ، فالواجـب العلـم والعمل بمقتضىٰ هذا العلم، ليدل علىٰ أن الإيمان صادقٌ، فإن الإيمان اعتقاد القلـب ونطـق اللسـان وعمـل الجوارح، الذي يبرهن علىٰ حقيقة الإيمان.

(الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)، إذا علمنا وعملنا وعرفنا عظيم نعم الله علينا، وفضـله علينـا، وجـب أن نشـكر هذه النعمة، وأن نؤدي حقها، بأن ندعو غيرنا إلىٰ ذلك، لأنك إذا علمت وعملت، فلابد أن تنشر هٰذا الحـق، وتدعو إليه، لتبرأ ذمتك؛ لأن الواجب علىٰ من تعلَّم وعمل أن يدعو غيره، قال جلَّ وعـلَا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[النحل: ١٢٥]، وقال جلَّ وعلَا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف].

إذن فلابد من علمٍ وعملٍ واستقامةٍ علىٰ هذا الدين، والـدعوة إلـىٰ الله مـنهج الأنبيـاء والمرسـلين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، «ومن دعا إلىٰ هدىٰ كان له أجـره، وأجـر مـن

عمل به إلىٰ يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أجورهم شيء».

(الرَّابِعَةُ: الصَّبرُ علَىٰ الأَذَىٰ فِيه)، لابد لمن دعا إلىٰ الله، وخالف أهواء الناس وشهواتهم أن يُقابَل بالإنكار، وأن يُقابَل بالتكذيب ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت]، وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ۝٢١٤﴾[البقرة].

إذن إخواني فلابد من الدعوة إلىٰ الله، وصبرٍ علىٰ هذه الدعوة؛ لأنك خالفتَ أهواء الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[المزمل: ١٠]، وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ۝٥﴾[المعارج]، فأمر النبي بالصبر والتحمل، فإنّ الصبر علىٰ الطاعة مثل العمل بالواجبات، والصبر عن المعاصي بتركها، وعن الطاعات بفعلها، والصبر علىٰ ما يصيب من ألم في الدعوة إلىٰ الله، قال عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان].

(والدَّليلُ) علىٰ هذه المسائل العلم والعمل، والدعوة والصبر، هذه السورة القصيرة من الآيات، يقول الله فيها: (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾) أقسم -جلَّ وعلَا-، والقسم بمخلوقاته أن جنس الإنسان في خسارةٍ، إلا من استثنىٰ، وهم الذين آمنوا، كملوا بالإيمان والعمل، ثم كملوا غيرهم بأن أوصوهم بالحق، ودعوهم بالحق، وأوصوهم بالصبر عليه، هؤلاء نجوا من الخسارة؛ لأنهم علموا وعملوا، ودعوا وصبروا، هذا الوعد واجبٌ علىٰ كل أحد.

(قالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: «ه لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً علَىٰ خَلْقِه إِلَّا هٰذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ »)، فإن فيها بيان الخاسر والرابح.

(وقَالَ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالَىٰ: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ) ثم قرأ: (قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّد:١٩]؛ فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»)

فلابد من علم، والعلم من يدعو عن جهالةٍ لا ينفع، لابد من علمٍ معك لكي تدعو الناس علىٰ بصيرةٍ، ولابد من عملٍ، ولابد من دعوةٍ، وصبرٍ علىٰ ذلك، ورغبة في ما عند الله من الثواب العظيم، فأنبياء الله قص الله علينا قصصهم، وبين أحوال أنبياء الله، وما أصابهم من مصائب، قال جلَّ وعلَا: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨]، وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ

مَا يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾[الأحزاب].

فنسأل الله التوفيق والسداد، والمهم أننا استفدنا من درسنا هذا، أن هذه المادة -الأصول الثلاثة-رسالةٌ نافعةٌ، مفيدةٌ، مختصرةٌ، مدعمةٌ بالأدلة من الكتاب والسنة، يسهل حفظها، والنظر فيها، فليقرأها المرء بتأمل وتدبر؛ ليعلم ويعمل، ويدعو علىٰ علم وبصيرة، ويصبر علىٰ ذلك، ويوصي غيره بهذا.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمدٍ.